

الشهيد نجمة الليل التي ترشد من تاه الطريق

ارتقاء الشهيد كما الفن إبداع وعبقرية

أعمال درامية التقطت مفردات الحرب والشهادة وترجمت اللحظة بحميميتها وعمق صدقها

وائل العدس

يكتسب يوم السادس من أيار هذه الأعوام عيد (أكرم من في الدنيا وأنبئ بني البشر) أهمية استثنائية، نتيجة الحرب الإرهابية التي تشنها دول العالم على سورية، لذا نستلهم في هذه الذكرى معاني التضحية والفداء التي يقدمها رجال الجيش العربي السوري من أجل تحقيق المزيد من الانتصارات حتى تحرير آخر شبر من دنس الإرهاب. فالشاهد نجمة الليل التي ترشد من تاه الطريق، وتبقى الكلمات تحاول أن تصفه ولكن هيئات، فهذا هو الشهيد.

ويتوقف الإنسان ملياً أمام يوم يختصر تاريخ شعب بأكمله، تاريخ شعب امتلأت لحظات وجوده الطويل على هذه الأرض، بمرارات وعذابات لا حصر لها، غزوات واحتلال، تمرد مستمر حتى الشمالة.

في السادس من أيار، علق السفاح التركي جمال بإشراق الأحرار من نخبة المثقفين والسياسيين السوريين والعرب في دمشق وبيروت على أعواد المشايق، ولكنه لم يتمكن من أن يطفى حمية هذا الشعب وشعلته الملتهبة، فإذا به يتفرض في كل مكان مطلقاً صرخة الحرية، وما هي إلا أشهر حتى أطيح بالمستعمر العثماني.

هكذا تحولت ذكرى هذا اليوم لتشمل جميع شهداء الوطن الأبرار، جميع أولئك الذين ضحوا بدمائهم وحياتهم، على أمل حياة جديدة أفضل للجيل القادم.

وما يحصل حالياً على الأرض السورية ما هو إلا انعكاس للماضي، فمنذ ست سنوات تقريباً انضمت وتنضم قوافل من الشهداء إلى قافلة السادس من أيار على يد الإرهاب في سبيل سيادة الوطن وتحريره من دنس الإرهابية، حيث يسطر الجيش العربي السوري بعزمه وقوته وعقيدته أروع ملاحم البطولة والمجد والإباء والتضحية والشجاعة والفتات على المواقف والإصرار على المبادئ العليا.



من مسلسل «رجال الحسم»



أخوة التراب



من مسلسل «الخوالي»

وأدى أدوار البطولة: باسل خياط، ومايا نصري، وعبد الرحمن أبو القاسم، ومنى واصف، وناج حيدر، وأمين رضا، وميلاد يوسف، ورامي حنا، وتادين خوري، وآخرون.

سينمائياً

بعيداً عن الدراما، لا ننسى الشهادة في فيلم «ما يطلبه المستمعون» عندما ختم المخرج عبد اللطيف عبد الحميد فيلمه باستشهاد البطل فوق رشاش المضادات الأرضية على صوت فيروز الغنائي، وهي تغني «جايلي سلام عصفور الجنان»، أعقبه بموكب الجندي الشهيد يتقدم دروب الضيعة محملاً على الأكتاف وملقوفاً بالعلم السوري وسط زغاريد وأهازيج أهل قريته.

وأخيراً

إن ارتقاء الشهيد كما الفن إبداع وعبقرية، فالشاهد في ممارستها لفن الشهادة أعظم فنان، لأنه يبدع صور استشهادية في الشكل الفني الرائع، متجاوزاً التسميات البديهية ليسمو فوق أبعاد الحروف ورموز الألوان وزوايا المساحات الضوئية، فهو الذي يعتلي قمة السماء مقيماً فيها دائماً، وهذه القبة لا يصل إليها إلا النخبة المختارة من خلق الله، فاي قيمة أعلى من قيمة الشهادة؟ وأي جنة أعز وأروع من تلك الجنة التي يفوز بها الشهداء بعد التضحية بالحياة التي لا تقارن بما نالوا؟

والده نبياً استشهاديه يستقبل النبا بافتخار ثم يذهب إلى المشفى ليبحث عن أحد رفاق حسن ليروي له قصة استشهاديه، فيجتمع بالرقيب إبراهيم الذي يروي له قصة استشهاد ابنه والتي يتأكد منها أن ابنه استشهاد وهو يقارع العدو وجهاً لوجه، فتقام جنازة للشهيد أشبه بعريس، وتنجب زوجة حسن طفلاً فيقرر جده تسميته على اسم والده الشهيد.

وهنا نشاهد تشويق الأم لمعرفة مصير ابنها وثرى كيف ترتسم على وجهها مشاعر الألم والصبر ولا سيما عندما يصر والد الشهيد على إقامة حفل شبيه بحفل الزفاف وسط الدموع، وأن يفرح أهله وجيرانه بهذا الاستشهاد، وتقام الحفلة في أجواء تلهب المشاعر وتؤكد أهمية الشهادة في سبيل الوطن وقيمها ومعانيها الكبيرة، وهو من بطولة صلاح قضاص، وهالة شوكت، وسلمى المصري، وهاني السعدي، وأحمد عداس.

فداء لوطن

ومن الأعمال الدرامية التي صنعت عن الشهادة تمثيلية (شجرة الورد) تأليف وإخراج محمد الطيب، وقد عرضت في عام ١٩٨١، حيث يوجد فيها من دونه لم تكن لتخسر شيئاً من قوتها التعبيرية رغم أن إبداع رؤية فنية لراهنية الشهادة والشهيد من إبداع فنانة سورية بامتياز، حيث يوجد في شاب في مقتبل العمر يعنى بشجرة ورد في بيته العربي، وعندما تقوم المعركة يستشهد دفاعاً عن الوطن في المعركة.

وكانت المسألة الأهم كيف استقبلت أم الشهيد نبأ استشهاد ابنها، حيث استقبل الأبوان الخبر

ووفقاً للعمل فإن الخازوق كان اختراعاً مسجلاً باسم الأتراك، حيث كان يبق بأسفل المقاومين حتى يخرج من كتفيهم وربما رأسهم. أدى أدوار البطولة في هذا العمل كل من: أيمن زيدان، وزهير عبد الكريم، وسوزان نجم الدين، وفايز أبو دان، وجيهان عبدو، وبسام لطفي، وليلى جبر وآخرين.

الشهيد العريس

وتحضرنا في هذه المناسبة تمثيلية (العريس) عام ١٩٧٥ تأليف خالد حمدي وإخراج شكيب غنام، ويدور محور الحكاية حول شاب يستعد لحفل الزفاف، وفي هذه الأثناء يدعوه الواجب الوطني فيليبى النداء، ويستشهد في المعركة. القصة مستوحاة من بطولات حرب تشرين حيث يستدعى الشاب (حسن) المتزوج حديثاً إلى الخدمة في الجيش والحرب قائماً، ويقوم والده ببث قيم الوطنية والشجاعة فيه وإنه إذا استشده وهو في مواجهة العدو فهو بطل، أما إذا قتل وهو هارب فليس بطلاً، ويذهب إلى الحرب ويكون تحت إمرة الرقيب إبراهيم، وفي إحدى المعارك ينجح بإصابتة دبابة إسرائيلية بقاذف «أر بي جي» ثم يقوم بالهجوم على دبابة أخرى بواسطة قنبلة يدوية فينتقم ويلقيها على الدبابة، فتصيبه طلقات العدو فيفرح إليه الرقيب إبراهيم ويسأله لم خاطرت بنفسك فيجيبه (خفت أن يسبغني أحدكم ثم يستشهد، وعندما يعلم

لفنان التشكيلي السوري الراحل التزامه بالقضايا العربية والقومية

لطلما جمعت اللوحات قوة تعبيرية واضحة على الرغم من الالتزام في الأسلوب

وبدوره أنجز (نذير نبع) عدداً من أهم اللوحات التي تناولت موضوع الشهادة، وكانت البداية مع عدد من اللوحات عن «النابالم»، تلك القنابل الوحشية التي ألقتها «إسرائيل» على الجبهة السورية عام ١٩٦٧، فجعلت أجسام ضحاياها مساحات متفحمة مفرقة، وحولت الزمن الفاصل بين التصاق المواد القاتلة بأجسامهم، وموتهم، مساحة مرعبة من الألم الذي لا يحتفل. وفي وقت لاحق رسم لوحة ثانية تدين الإجرام الصهيوني بعنوان «مدرسة بحر البقر» إثر الجريمة المروعة التي ارتكبتها الطائرات الإسرائيلية حين قصفت في الثامن من نيسان ١٩٧٠، مدرسة أطفال في مصر ما أدى إلى استشهاد ثلاثين طفلاً وجرح خمسين آخرين، وتدمير مبنى المدرسة بأكمله. وفي الفترة ذاتها تقريباً أنجز لوحة بالغة الأهمية تصور فدائياً فلسطينياً يستلقي شهيداً على عتبات (القدس)، وقد بانّت من محفظته صورة ابنه الطفل. وفي أواخر السبعينيات أنجز (نذير نبع) لوحة ثلاثية عملاقة تحمل عنوان (الشهيد)، وتصور بأسلوب رمزي حالم شهيداً يتهاوى ممسكاً بسيفه بحيث به فتاتان تعزفان على الناي لحناً حزيباً.

في التجربة الشخصية

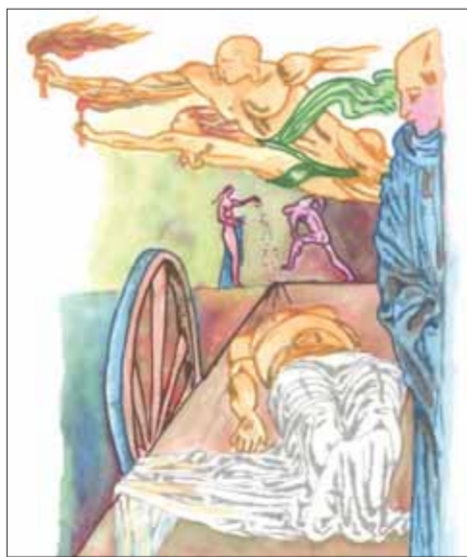
التجربة الشخصية هي أهم برهان على تمسك المرء بمبادئه ويقضاياه التي يلتزمها، والتي يسعى خلالها إلى تقديمها، وعن تجاربه الخاصة بالتمسك بالضمير والعروبة والشهادة، تحدث الفنان التشكيلي إبراهيم مؤتمة «بالنسبة لي فمنذ أن فتحت وعيي واحترقت الفن التشكيلي، كانت معظم أعمالى تتجه نحو تخليد الفداء والشهادة، على اعتبار أن أجساد الشهداء ملح للأرض ودماءهم نبض أحمر يروي الأرض العطشى لتبتت شوكة بخز الضمائر الميتة وتحرض النفوس الثائرة المنتحشة للفداء والتحرير، فكانت لوحاتي تخليداً وتقديساً للشهادة والشهداء الذين ضحوا بدمائهم وأرواحهم من أجل الوطن، وفي هذه الأزمة التي تصفح بسوريتها والهجمة الإرهابية الحاقدة وما قدمته سورية وجيشها العقائدي، وما قدمته القوى الريفية والمقاومة الفلسطينية من شهداء على أرض سورية، أصبح لزاماً علينا أن يكون صلب إيماننا هو تقديس الشهادة والشهداء دفاعاً عن الأرض والعرض. لقد ضحى الشهداء بأغلى ما عندهم، ورحمهم فداء لوطن، فمن واجب الوفاة لهم أن يكون للفن دور كبير في إبراز بطولاتهم وتضحياتهم، وقد رسمت مجموعة من الأعمال التي تقديس الشهادة والشهداء، منها ما نشر ومنها ما زالت في جعبتي وستظل الريشة المقاومة تقف جنباً إلى جنب مع البندقية المدافعة عن الوطن».



مفهوم الشهادة لإسماعيل شموط



الكرامة لنذير نبع



دفن الموتى لإبراهيم مؤتمة

(عاصم زكريا) المعركة والشهيد في لوحة شهيرة محفوفة بالتحف الحربي في دمشق. وهناك لوحتان لرسميد (تحسين) تتناولن موضوع الشهادة بشكل غير مباشر، الأولى لوحة (الجماعة) التي تصور واحدة من أقسى مراحل الاحتلال العثماني، ويظهر في عمقها مجموعة من الشهداء متدلّين من حبال المشايق، ولوحة (الاعتداء على المجلس النيابي)، والتي تكاد تكون الوثيقة البصرية الوحيدة التي تؤنق هذه الجريمة المروعة التي ارتكبتها جيش الانتداب الفرنسي.

قبل عشر سنوات فقط أتت لنا من خلال معرض استراتيجي أقيم لإرميشل كرشية في المنحف الوطني في دمشق مشاهدة لوحة ثلاثية صغيرة إلى حد يمكن الاعتقاد بأنها مشروع لوحة أكبر. هذه اللوحة التي تحمل عنوان (يوم لم يكن العلم الوطني، فيما تمت وراهه مقابر كثيرة وفي آخرها ملاح دمشق وجامعها الكبير. وخلف الجنرال الذي يشغل الجانب الأيسر من اللوحة اصطف قائده وأفراد سلطته وآليات جيشه وجنوده الذين اقتيدوا قسراً من المستعمرات

تخلّد الشهيد، وكذلك لم تخلّ لوحة من لوحات الفنان الكبير الراحل إسماعيل شموط من إبراز دور الشهادة من أجل تحرير الوطن المغتصب وكذلك الفنان الراحل مصطفى الحلاج، والكثير الكثير من الفنانين الفلسطينيين والسوريين كان لهم دور كبير في تخليد الشهادة والشهداء والأعمال الفنية مليئة بالشواهد».

سعد قاسم يحكي رواد التشكيل والشهادة

اتخذ تصوير موضوع الشهادة من مهنية وشفافية رواد الفنانين التشكيليين السوريين بعداً واضحاً، تجلى من خلال استخدامهم أساليب تسجيلية وتقديرية، كي يوصلوا المعاني السامية للشهادة ونبلها من خلال تصوير مأسى الاستعمار وأساليبه والظلم الواقع على الشعوب. وحول مسيرة الحركة الفنية التشكيلية السورية في تصويرها للشهادة تحدث الفنان التشكيلي السوري سعد القاسم: «قد تكون اللوحات التي صورها سعيد تحسبن (١٩٤٤-١٩٨٥) عن أحداث عاصرها، هي أقدم الأعمال الفنية التي تطرقت إلى موضوع الشهادة، وتحديداً لوحة (ميسلون) التي يحتل الشهيد (يوسف العظمة) مركزها، وقد سقط عدد من جنوده شهداء في ذروة احتدام المعركة، وبعد سنوات كثيرة صور

إسوسن صيداوي

التضحية بأهم ما يكتنزه المرء لنفسه وهو الحياة أمر جل عظيم، وكيف إذا بذلت في سبيل الوطن الغالي، وكيف إذا أصبح الدم رخيصاً مقابل حماية قدس تراب أرضنا السمراء من دنس وشور كل دخيل ومستعمر، هذا العطاء يلمس قلب كل فنان ويحرك أشجانه وعاطفته، وخاصة الفنان التشكيلي الذي يحتضن ريشته بين أصابعه، مانحاً بكل عاطفة وحنو، مع أفكاره وخيالاته، ألوانه كي تنطلق وتعبر عن إيمانه ومسؤوليته تجاه وطن كبير بكل ما فيه وبكل ما يعود له. لهذا في النضال القومي ومعركة العزة العربية لم يكن الفنان التشكيلي، العربي على العموم والسوري على الخصوص، مغيّباً، فلقد وقف جنباً إلى جنب مع حماة الديار وفي الخندق نفسه مع البندقية لتحقيق العزة والتمسك بالكرامة العربية.

التزام الفن التشكيلي

الأحداث المصرية التي تتالت على البلاد العربية والتي أخذت شكل اعتداءات واستعمار وثورات ضد الاحتلال، كلها كانت محركاً للفن التشكيلي، وبالنسبة للفن التشكيلي السوري ارتبطت مفاهيم الشهادة به من خلال المناسبات القومية والوطنية السورية ومن أهمها: الثورة السورية الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي، نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، العدوان الثلاثي على مصر العربية ١٩٥٦، وثورة الجزائر العربية، ونكسة حزيران، والثورة الفلسطينية، وحرب تشرين التحريرية، وعليه جاء يوم السادس من أيار يوماً للشهادة وللشهيد، مؤكداً ضرورة الالتزام بقضايا الوطن القومية والسياسية، وحول التزام الفن التشكيلي بالشهادة تحدث الفنان التشكيلي الفلسطيني إبراهيم مؤتمة: «تقدر الشهيد في الفن التشكيلي مساحات مهمة في أغلب أعمال الفنانين الفلسطينيين منذ انطلاق الثورة الفلسطينية. في منتصف القرن الماضي كان للفن التشكيلي دور كبير في إبراز دور الفدائي وتقديس الشهادة، وكان لفنان السوري الكبير الريادة أولاً في هذا المجال من خلال مجموعة بوسترات